إشكالية المصطلح في الدراسات النقدية بين تعدد المناهج وتنوع مجالات الاستخدام

The problematic of the term in critical studies between the variety of approaches and the diversity of areas of use

د. عبدالله بوسيف

جامعة محمد خيضر– بسكرة (الجزائر)

abdallah.madridi83@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2020/08/05 **تاريخ القبول: 2020/09/08**

ملخص:

تعدّ المصطلحات مفاتيح العلوم، ولكلّ علم مصطلحاته التي تنبئ عن مفاهيمه التي يقتضيها، غير أنّ الإشكالية التي تعاني منها أغلب العلوم، ولاسيما الإنسانية هي مشكلة المصطلح في ظلّ تعدد المناهج وتنوع مجالات الاستخدام، وهذا ما أسهم في بلورة الوعي بمشكلة المصطلح التي أخذت حيزا هامًّا في المنجز النقدي العربي الحديث والمعاصر.

وتسعى هذه الدراسة إلى الحديث عن أزمة المصطلح والتي تمخضت عنها جملة من الإشكاليات ترتبط أساسا بتعدد المناهج وتنوعها بين سياقية ونسقية، إضافة إلى غياب الوعي بأصولها وخلفياتها، ولعلّ هذا ما جعل مشكلة تعدد المناهج النقدية تعدّ من القضايا الشائكة التي حظيت –ولا تزال– بالاهتمام من قبل النقاد والدارسين. كما أنّ الأزمة المصطلحية خلقت أزمة أخرى تمثلت في استعمالات المصطلح وما نتج عنها من تضارب في اختيار المصطلح الأنسب والأقدر على طرح الفكرة وتوصيل المعنى.

الكلمات المفتاحية: إشكالية المصطلح، الدراسات النقدية، العلوم الإنسانية، النقد الأدبي تعدد المناهج، استخدام المصطلح.

***Abstract*:**

Terms are the keys to science; each science has its own terminology that foretells its required concept. However, the problematic of terminology is what most of science suffers especially humanities under the variety of approaches and the diversity of areas of use. This is what contributed to the crystallization of awareness of the problematic of terminology that took a significant space in the modern and contemporary accomplished Arabic criticism.

This study endeavours to talk about the term crisis, which resulted in a number of problems mainly related to the variety of approaches and their diversity between contextual and coordinate, in addition to the lack of awareness of its origins and backgrounds. Perhaps this is what made the problem of the variety of critical approaches one of the thorny issues that have received - and are still recieving - the attention of critics and scholars. The terminology crisis also created another onee, which was the uses of the term, and the resulting conflict in the choice of the most appropriate and suitable term to present the idea and convey the meaning.

***Keywords*:** Problematic, terminology, Critical studies, Humanities, Literary criticism, Variety of approaches, Use of the term.

مقدمة:

تعدّ قضية المصطلح من أهم القضايا التي شغلت بال الدارسين وجذبت اهتمامهم كونه شفرة الخطاب النقدي الذي لولاه ما وقع التواصل. وللمصطلح دور كبير في تحديد قيمة المعرفة نظير ما يحمله من زخم الثقافة العربية والغربية على حدٍّ سواء.

وتكاد أغلب الدراسات الحديثة تؤكد على أنّ مسايرة الركب اللغوي والنقدي تتطلب الضبط الدقيق للمصطلحات حتى يتم توظيفها بشكل سليم يرقى من خلاله الدرس النقدي ويتطور، ونظرًا للأهمية التي تشكلت حول المصطلح تولدت لديّ رغبة في دراسة أزمة المصطلح، لذا جاء عنوان الدراسة موسوما بـ: "**إشكالية المصطلح في الدراسات النقدية الحديثة بين تعدد المناهج وتنوع مجالات الاستخدام**".

وتتمحور إشكالية الدراسة حول: فيم تكمن أزمة المصطلح في الدراسات النقدية الحديثة؟ هل تكمن في تعدد المناهج أم في تنوع مجالات الاستخدام؟ كما تفرعت عن هذه الإشكالية جملة من التساؤلات الفرعية النابعة من طبيعة العلاقة بين المصطلح والمنهج ومنها: ما المقصود بالمصطلح؟ وفيم تكمن أهميته ووظائفه؟ هل يمكن تجاوز أزمة المصطلح في الدراسات النقدية الحديثة؟ وما هي الحلول الكفيلة بتجاوز الأزمة؟

سأقف في هذه الدراسة عند جملة من النقاط أبرزها: مفهوم المصطلح لغة واصطلاحا أهمية المصطلح النقدي ووظائفه، إشكالية المصطلح في ظل تعدد المناهج، أزمة المصطلح في ضوء تنوع مجالات الاستخدام، إضافة إلى خاتمة تضمنت أهم النتائج المتوصل إليها.

1- مفهوم المصطلح:

أ. لغة: نجد أن أول معجم لغوي تناول لفظ "مصطلح" هو "**معجم تاج العروس**" **للزبيدي** حين قال: «وَالِاصطِلَاحُ: اِتِّفَاقُ طَائِفَةٍ مَخصُوصَةٍ عَلَى أَمرٍ مَخصُوصٍ»[1]؛ أي اتفاق مجموعة من النقاد أو الباحثين على مصطلح بعينه في مجال محدد.

والمصطلح لفظة مأخوذة من المادة اللغوية (ص ل ح) «وَالصَّادُ وَاللَّامُ وَالحَاءُ أَصلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى خِلَافِ الفَسَادِ»[2] وهو نفسه ما ذهب إليه **الفيروز أبادي** حين عرفه بـ: «الصَّلَاحُ ضِدُّ الفَسَادِ»[3]، «والصُّلحُ: السِّلمُ وَقَد اِصطَلَحُوا وَصَالَحُوا وَأَصلَحُوا وَتَصَالَحُوا وَ اصَّالَحُوا مُشَدَّدَةُ الصَّادِ»[4]، كما يبدو فإن لفظة (صُلح) تعني في المعاجم اللغوية إنهاء الخصومة والسلم والتوافق، وهو ضد الفساد.

ومما ورد في معجم اللغة العربية المعاصرة: «مصطلح (مفرد): ج: مصطلحات/ اسم مفعول من اصطلح، اصطلح على: ما تم الاتفاق عليه، كلمة أو مجموعة من الكلمات لها معنى معين، معجم المصطلحات الطبية، العلمية، أمر مصطلح عليه»[5]؛ وهذا يعني وجود مجموعة من المفردات التي وضعت للدلالة على علم ما من العلوم المختلفة، فلكل علم مفرداته واصطلاحاته التي تميزه عن غيره.

ب . اصطلاحا:

عُرّف المصطلح بأنه: «اتفاق طائفة على شيء مخصوص ولكل علم اصطلاحاته»[6]، وعرّفه الشريف الجرجاني بقوله: «الاصطلاح عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما يُنقل عن موضعه الأول وإخراج اللفظ عن معنى لغوي إلى آخر لمناسبة بينهما، وقيل الاصطلاح: اتفاق طائفة على وضع اللفظ إزاء المعنى، وقيل: هو إخراج الشيء عن معنى لغوي إلى معنى آخر لبيان المراد، وقيل: الاصطلاح لفظ معين بين قوم معينين»[7].

فالمصطلح اتفاق بين الجماعة كشرط لوضعه، فلا تحدد دلالته إلا ضمن هذا الإطار ومنه أمكن القول: «إنّ المصطلحات هي مجموعة الألفاظ التي يصطلح بها أهل علم من العلوم على تصوراتهم الذهنية الخاصة بالحقل المعرفي الذي يشتغلون فيه، وينهضون بأعبائه ويأتمنهم الناس عليه، ولا يحق لأحد أن يتداولها بمجرد إظهار النية بأنها مصطلحات في ذلك الفن إلا إذا طابق بين ما ينشده من دلالة لها وما حدده أهل ذلك الاختصاص لها من مقاصد تطابقا تاما»[8].

وعرّف محمود حجازي المصطلح بقوله: «المصطلح اسم قابل للتعريف في نظام متجانس يكون تسمية حصريا (تسمية لشيء) ويكون منظما في نسق، ويطابق دون غموض فكرةً أو مفهوما»[9]؛ فالمصطلح كلمة جيء بها لتدلّ على شيء ما في نظام متسق ومترابط، ويطابق الفكرة التي وضع لها.

ويرى علي بن إبراهيم النملة في كتابه الموسوم بـ: **إشكالية المصطلح في الفكر العربي** أن لفظة المصطلح ليست وليدة العصر الحديث، بل توجد في التراث الإنساني إسهامات عالجت المفهوم؛ فتحدث عن ذلك الجاحظ (ت 525 هـ) و الفارابي (ت 350هـ) والجرجاني (ت 816هـ) وغيرهم[10].

ويشير ممدوح محمد خسارة إلى أنّ المعنى الاصطلاحي للفظ (مصطلح) يقصد به «نقل اللفظ من معناه اللغوي إلى معنى آخر تتفق عليه طائفة مخصوصة»[11]؛ فالمصطلح

يعني اتفاق قوم أو جماعة من الناس على تسمية الشيء باسم ما، فيُنقل عن موضعه الأول ويتفقون جميعا على استخدامه.

والمصطلح أيضا «لفظ اتفق العلماء على اتخاذه للتعبير عن معنى من المعاني العلمية»[12]؛ فالاتفاق شرط ضروري لدلالة المصطلح على معنى من المعاني العلمية. «والمصطلح كلمة أو مجموعة من الكلمات من لغة متخصصة علمية أو تقنية يوجد موروثا أو مقترضا للتعبير عن مفاهيم وليدل عن أشياء مادية محددة»[13]، ولكن قد تكون بعض المصطلحات لها معنى معين في منطقة ما وخلافه تماما في منطقة أخرى.

عموما فالمصطلح لفظ موضوعي يؤدي معنى ما بوضوح ودقة، بحيث لا يقع أي لُبس في ذهن القارئ أو السامع، وتشيع المصطلحات الضرورية في العلوم الصحيحة حيث يُحدد مدلول اللفظة بعناية من قبل أصحاب الاختصاص.

ج . المصطلح النقدي:

يشكل المصطلح النقدي العمود الذي يقوم عليه الخطاب؛ فهو رمز لغوي (مفرد أو مركب) أحادي الدلالة مُنزاح نسبيا عن دلالته المعجمية الأولى يعبر عن مفهوم نقدي واضح، ومتفق عليه بين أهل الحقل المعرفي.

ويشير الدكتور أحمد مطلوب إلى أن المصطلح النقدي «جزء من المصطلح العام وهو اللفظ الذي يسمى مفهومًا نقديًّا لدى اتجاهٍ نقدي ما، ويعبر عن ألفاظ ذلك الاتجاه أو من مصطلحاته، أو هو مجموع الألفاظ الاصطلاحية لتخصص النقد»[14].

فالمصطلح النقدي هو الذي يؤطر التصورات الفكرية التي ينتجها فعل الممارسة النقدية وفق ضوابط منهجية من شأنها توضيح دلالته، كما أنّ المصطلح النقدي يظهر من خلال الألفاظ النقدية التي تعبّر عن الاتجاه النقدي وألفاظه ومصطلحاته.

وتجدر الإشارة إلى أنّ المصطلح النقدي نابع من بيئته والأجواء التي نشأ وترعرع فيها وتطوره يكون حسب تزايد الحاجة للنقد، وعلى حسب تطور دراسة النقاد له، ومدى قدرتهم في إثبات قوته وكفاءته ودعمه للدراسة النقدية ليؤدي الغرض الذي وضع من أجله.

ومنه نخلص إلى أنّ المصطلح النقدي يتميز عن غيره من باقي المصطلحات بالحقل المعرفي الذي ينتمي إليه؛ حيث يلبس المصطلح النقدي خصوصية مفهومية ناجمة عن ارتباطه بالمعرفة الأدبية ومجال التفكير في الأدب نظريا وتحليليا.

2- أهمية المصطلح النقدي ووظائفه:

إنّ أهمية المصطلح لا تكمن في كونه لفظا يطلق على معنى معين اتفق العلماء والمفكرون على استعماله، بل إن أهميته تكمن في أنه أداة من الأدوات المعرفية التي دون معرفتها لا يمكننا أن نفهم ماهية وحقيقة المعرفة، لأنّ المصطلحات هي تلك الألفاظ المحددة والدقيقة الدالة على المفاهيم الكلية، كما أنها تؤدي دورا أساسيا في حياة المختصين في كل العلوم على اختلافها.

والحقيقة أن تأثير المصطلح في المجال النقدي خاصة والمعرفي بشكل عام يجعله يحظى بأهمية كبيرة في المنظومة المعرفية، ذلك أنّ «مفاتيح العلوم مصطلحاتها، ومصطلحات العلوم ثمارها القصوى، فهي مجمع حقائقها المعرفية وعنوان ما به يتميز كلّ واحد منها عمّا سواه وليس من مسلك يتوصل به الإنسان إلى منطق العلم غير ألفاظه الاصطلاحية حتى لكأنها تقوم من علم مقام جهاز من الدوال ليس مدلولاته إلا محاور العلم ذاته ومضامين قدره من يقين المعارف وحقيق الأقوال»[15].

فأهمية المصطلح تكمن في فهم المعنى وتحديد الدلالة، لذلك فإنّ العلم به ومعرفته تعد ضرورة علمية ومنهجية، كما أنّ المعنى الذي يحدده المصطلح يساعد على حسن الأداء ويقرب مسافة الفهم، ويجنب اللبس والغموض.

وحظي المصطلح النقدي في العصر الحديث باهتمام بالغ؛ حيث فرض عصر العولمة على الدارسين الاهتمام بالمصطلح النقدي باعتباره ظاهرة عالمية يقوم عليها تأسيس المنهج

النقدي، فلا وجود للمنهج النقدي دون تحديد للمصطلحات النقدية الخاصة به[16]، لذا فالمصطلحات النقدية تشكّل الدعامة الأساسية للمنهج النقدي.

وتجدر الإشارة إلى أنّ المصطلح النقدي له وظائف عديدة تمنحه بعدا شموليا، ومن بينها: الوظيفة المعرفية، الاتصالية، الاقتصادية، والوظيفة الحضارية، ولكلّ وظيفة من هاته الوظائف دورها الذي تقوم به؛ فالوظيفة المعرفية تستلزم كون «المصطلح تراكم مقولي يكتنز وحده نظريات العلم وأطروحاته»[17]؛ ويتضح من هذا القول أنّ المصطلح له دور أساسي في تكوين المعرفة وحفظ المعارف، كما أنّ الحفاظ على العلم مرهون بما يملكه من جهاز اصطلاحي يوفّر مادة غنية هي بمثابة الجسر الواصل بين الباحث ومجال بحثه.

وتتجلى الوظيفة التواصلية في أن المصطلح مفتاح العلوم، وبذلك فهو يمثل أبجدية التواصل بين أهل الاختصاص في أي حقل معرفي «لذلك كانت المصطلحات أولى قنوات الاتصال بين مجالات العلوم البشرية مثلما هي على مستوى الحوار الحضاري بين الأمم، والتواصل الثقافي بين الشعوب بمثابة الجسور الواصلة بين اللغات»[18]. من هنا نقول إنّ المصطلحات أساس كل العلوم، بها يتم التواصل وبدونها تختفي قنوات الاتصال بين الأمم.

أما الوظيفة الاقتصادية للمصطلح فتكمن فيما يمنحه من طاقة في الاستيعاب وقوة في التخزين لكم كبير من المعارف المختلفة، بحيث يمكن التعبير عن عدة مفاتيح بلغة اصطلاحية تسهم في منحها الدقة والاختصار والاقتصاد، وبذلك يصبح «المصطلح صورة مكثفة للعلاقة العضوية القائمة بين العقل واللغة، وتتصل أيضا بالظواهر المعرفية، لأنّ المصطلحات في كلّ علم من العلوم هي بمثابة النواة المركزية التي يمتد بها مجال الإشعاع المعرفي، ويترسخ بها الاستقطاب الفكري»[19]، وتتجلى الوظيفة الحضارية في كون اللغة الاصطلاحية ملتقى الثقافات الإنسانيةوهي الجسر الذي يربط لغات العالم بعضها ببعض.

نخلص في ختام هذا العنصر – أهمية المصطلح النقدي ووظائفه – إلى أنّ أهمية المصطلح النقدي تكمن في أنه أداة من أدوات توحيد الفكر عند الأمة الواحدة، كما أنّ له أهمية بالغة في فهم المعنى وتحديد الدلالة، أما بخصوص وظائف المصطلح فيمكن تحديد أربع

وظائف هي: المعرفية، التواصلية، الاقتصادية والوظيفة الحضارية؛ أما الوظيفة المعرفية فتتجلى في دور المصطلح الرئيس في تكوين المعرفة، كما أنه يمثل الجسر الذي يربط بين الباحث ومجال بحثه، أمّا الوظيفة التواصلية فتبرز من خلال دور المصطلح في إقامة التواصل بين أهل الاختصاص في أي حقل معرفي، ويتجلى دور الوظيفة الاقتصادية في أنها تمنح المصطلح قوة في تخزين عدد هائل من المعارف لاستثمارها قيما بعد، وتبرز الوظيفة الحضارية من خلال اللغة الاصطلاحية؛ هذه الأخيرة هي ملتقى كل الثقافات الإنسانية في شتى العصور.

3- إشكالية المصطلح في ضوء تعدد المناهج:

تعدّ العلاقة بين المصطلح والمنهج علاقة تلازم؛ يظهر ذلك في ما يحدثه المصطلح من تأثير جلي في تحديد طبيعة المنهج ووظيفته سواءً أكان ذلك على المستوى النظري أم التطبيقي «فبين المصطلح والمنهج علاقة قرابة وثيقة يجدر بالناقد وصلها، إنها صنوان ليس في وسع أحدهما أن يستغني عن الآخر أثناء الفعل النقدي ودون ذلك يهتز الخطاب النقدي وتذهب ريحه ويفشل في القيام بوظيفته»[20]؛ فالعلاقة بين المصطلح والمنهج علاقة تأثير وتأثر؛ إنهما وجهان لعملة واحدة.

فالمنهج مرهون في وظيفته بالمصطلح المستخدم فيه، وكل ما يصيب المصطلح ينعكس على المنهج سلبا أو إيجابا، فالمنهج يفقد وجوده في غياب المصطلح، كما أنه يؤثر في طبيعة المصطلح ويحدد مساره ووجهته، وهذا يدل أن هناك علاقة تأثير متبادل بينهما، فكلاهما يؤثر في الآخر، «والمنهج عامة يحدد المصطلح، ومن خلال تحديد المنهج يتولد المصطلح الذي يساهم في بلورته وإنجاز فعله»[21]؛ ولهذا فعلى الناقد أن يراعي التقارب بين المنهج والمصطلح الذي يتّبعه في دراسة ما والمصطلحات التي يتوجب عليه اعتمادها، فاختيار المصطلحات أمر لا بدّ منه عند القيام بأيّ دراسة نقدية، وإذا فقد الناقد التحكم في لغة المنهج ومصطلحاته سينتهي به الأمر حتما إلى إصدار أحكام مضطربة، وتصبح بذلك الدراسة ضربا من العبث وتفقد جوهرها وحقيقتها، ويصيبها الوهن الذي يتحول معه الخطاب النقدي إلى كيان فاقد للدقة والموضوعية العلمية.

وبالحديث عن علاقة المنهج بالمصطلح يرى يوسف وغليسي أنهما «رديفان متلازمان وأنّ المصطلح في أدنى وظائفه النقدية هو مفتاح منهجي، لأنّ المصطلحات المستخدمة في القراءة النقدية تحدس بالمنهج الذي ينطوي تحته المصطلح وأن استخدام مصطلحات بعينها يشكل علامة على المنهج المتّبع»[22]، ويؤكد على فكرة التلازم بين المصطلح والمنهج قائلا: «يمكن قراءة المصطلح النقدي برمّته من خلال تفكيك جهازه الاصطلاحي»[23].

وبالنظر إلى هذه العلاقة الوطيدة التي تربط بين المصطلح النقدي والمنهج نستنتج أن غموض المصطلحات نتج عنه غموض في المناهج وتعددها[24]، لذا أصبح كلٌّ من الناقد والقارئ عاجزين أمام هذه الإشكالية، ومنه وجب معالجة أزمة المصطلح النقدي في ضوء تعدد المناهج.

ولا تنحصر إشكالية المصطلح في تعدد المناهج فحسب، بل تتعداها إلى العديد من الإشكاليات الأخرى، على غرار الأصول التكوينية للمصطلح؛ إذ يكاد أغلب الدارسين يجزم أن إشكالية المصطلح تكمن أساسا في أصوله التكوينية المعقدة بوصفه حصيلة لقوى جذب وطرد متباينة، إضافة إلى إشكالية الترجمة وتعريب المصطلحات الأجنبية؛ حيث تتعرض في رحلتها من لغة إلى لغة أخرى لتأثيرات عديدة ومختلفة تحمل محمولات ثقافية في لغتها الأصلية، ثم تتأثر بالثقافة التي تنتقل إليها، وبذلك تتحول دلالتها وتفقد الكثير من الدقة والوضوح والتحديد[25].

وتعددت المناهج التي اهتمت بقراءة النص الأدبي ومعاينته، وانقسمت بين مناهج سياقية (تاريخية) وأخرى نسقية (حداثية)، ومن أمثلة القسم الأول نجد: المنهج التاريخي الاجتماعي، النفسي، إضافة إلى المنهج الانطباعي والشكلي والتكاملي، ومن أمثلة القسم الثاني نجد: المنهج البنيوي، الأسلوبي، السيميائي، إضافة إلى المنهج التفكيكي والتداولي.

ولعلّ كثرة هذه المناهج وتنوعها هو ما أسهم في بروز أزمة مصطلحية واكبت ظهور هذه المناهج، إذ نجد العديد من المصطلحات للمنهج الواحد، ولعلّ هذا يرجع لأسباب عديدة أبرزها وجود اختلاف بين البيئة التي نشأ فيها المصطلح والبيئة العربية التي نُقل إليها.

وفي ضوء هذا الواقع النقدي طفت إلى السطح مشكلة عدم تحديد المنهج النقدي والمصطلح، وهذا ما عطّل من نشوء نظرية نقدية عربية أصيلة يتفق عليها جميع النقاد[26].

وتواجه المنهج النقدي مشكلة تعدد المفاهيم، ومن ثمَّ تباين الخلفيات المنهجية والمنطلقات النظرية خاصة لدى النقاد المشتغلين في حقل المناهج المعاصرة، حيث تؤدي هذه الاضطرابات المعرفية والمفهومية إلى حجب الرؤية الصحيحة عن ذهن المتلقي مما ينشئ القطيعة بين الناقد العربي والنظريات النقدية[27]، وكدليل على تعدد المصطلحات للمنهج الواحد نجد على سبيل المثال:

المنهج البنيوي	المنهج السيميائي	المنهج الأسلوبي	المنهج التفكيكي	المنهج التداولي
–البنوي –البنائي –الشكلي –الهيكلي	– السيميائية – السيميولوجيا – الدلائلية – علم العلامات – علم الادلة – السيميوطيقا – علم الإشارة	– علم الأسلوب – الأسلوبيات	– الهدمية – التشريحية – الهدم والبناء – التفويضية – التفكيك	– التداولية – البراغماتية – النفعية – الذرائعية – المقامية

إن تعدد المصطلحات الدالة على المنهج الواحد زاد – بشكل كبير– من تعميق أزمة النقد، مما خلق صعوبة لدى النقاد والقراء والباحثين في اختيار المصطلح الأنسب ليدللوا به على المنهج الذي هم بصدد دراسته، وهذا ما خلق مشكلة أخرى تمثلت في أي المصطلحات هي الأنسب لتمثيل المنهج أصدق تمثيل.

3-1/ المناهج السياقية: (التاريخية)

أ- المنهج التاريخي:

يعدّ المنهج التاريخي أول المناهج النقدية ظهورا في العصر الحديث[28]، وهو المنهج الذي «يتخذ من حوادث التاريخ السياسي والاجتماعي وسيلة لتفسير الأدب وتعديل ظواهره»[29]؛ ما يعني أنّ المنهج التاريخي يفيد في تفسير تشكّل خصائص اتجاه أدبي، وهو ما يعين على فهم المؤثرات في نشأة الظواهر والتيارات الأدبية التي لها صلة وثيقة بالمجتمع وبفضل استقصاءات التاريخ الأدبي والثقافة الواسعة للناقد، يستطيع الأخير أن يحدد لحظة تكوين العمل الأدبي بدقة[30].

وحدد سيد قطب جملة من الخصائص التي يقوم عليها المنهج التاريخي والتي من بينها:

* إن المنهج التاريخي لا يستقل بنفسه، بل يعتمد على المنهج الفني؛ فالتذوّق والحكم ودراسة الخصائص الفنية ضرورية في جميع مراحل الدراسة[31].
* من مخاطر المنهج التاريخي الاستقراء الناقص والأحكام الجازمة والتعميم العلمي؛ فالخطر الأول يودي بنا دائما إلى خطأ في الحكم على الحوادث والظواهر التي نرصدها في حياتنا، كما تمثل الأحكام الجازمة خطورة، لاسيما ونحن نواجه في الغالب مسائل تاريخية ليست لدينا جميع مستنداتها وحيثياتها، كما يعتبر التعميم العلمي خطيرا؛ لأنّ الأدب بطبيعته غير العلم، كون المشاعر والأحاسيس قد لا تتابع تطور الأحياء[32].
* من خصائص المنهج التاريخي أيضا إلغاء قيمة الخصائص والبواعث الشخصية؛ فطول معاناة الملابسات التاريخية والطبيعية والاجتماعية عند أصحاب هذا المنهج يجرهم إلى إغفال قيمة العبقرية الشخصية وعدّها من آثار البيئة والظروف[33].

أما يوسف وغليسي فقد أشار هو الآخر إلى جملة من الخصائص التي تميز المنهج التاريخي ومن ذلك[34]:

* الازدهار في أحضان البحوث الأكاديمية المتخصصة التي بالغت في ارتضائه منهجا واحدا لا يرضى بديلا.

* الربط الآلي بين النص الأدبي ومحيطه السياقي، واعتبار الأول وثيقة للثاني.
* الاهتمام بالمبدع والبيئة الإبداعية على حساب النص الإبداعي ذاته.
* التركيز على السياقات الخارجية لمضمون النص مع تغييب واضح للخصوصية الأدبية للنص الأدبي.

ويمكن الإشارة إلى عَلمين جوهريين ممن أسهموا في تشكيل الاتجاه التاريخي في النقد الأدبي وهما: "**تين**"(*) و"**لانسون**"(**)؛ أمّا الأول فربط الأدب بالعوامل الثلاثة الأساسية المكونة له وهي البيئة، الجنس، والوسط، وأمّا الثاني فهو الذي تبلور المنهج التاريخي على يديه وبالتحديد في مقاله الشهير الموسوم بـ: "مفهوم البحث في الأدب"[35].

وبدأ ظهور المنهج التاريخي في الأدب العربي في نهايات الربع الأول من القرن العشرين على يد نقاد تتلمذوا على رموز المدرسة الفرنسية، ومن بين هؤلاء الدكتور طه حسين وزكريا مبارك وأحمد أمين.

ب– المنهج الاجتماعي:

يعد المنهج الاجتماعي من المناهج الأساسية في الدراسات الأدبية والنقدية، حيث نشأ في كنف المنهج التاريخي واستقى منطلقاته الأولى منه، خاصة عند النقاد والمفكرين الذين فهموا فكرة تاريخية الأدب وارتباطها بتطور المجتمعات، مما أسفر عن توجه عام للربط بين الأدب والمجتمع[36].

وإذا كان علم الاجتماع «يدرس أشكال النشاط المتبادل بين كل الأشخاص الذين يتدخلون في عالم الأدب، فإنّ النقد الاجتماعي يفسّر نوعيا كيف أن الكتابة حدث ذو طبيعة اجتماعية»[37].

فالمنهج الاجتماعي يربط بين النتاج الأدبي – بأنواعه المختلفة – والبعد الاجتماعي وبما أنّ كلّ إنتاج أدبي لا بدّ أن يرتبط بالمجتمع والحياة الاجتماعية، فإنّ المهم هو كيف ينظر الكاتب إلى حركة المجتمع في عمله الإبداعي؟ وكيف يفهم العلاقة بين النص الأدبي والعوامل الاجتماعية في ذلك النص؟

ويرى زعماء المنهج الاجتماعي أنّ الحياة نفسها حقيقة اجتماعية، وبما أنّ الأدب نشاط إنساني يعكس الحياة الاجتماعية وتطورها، فهو نشاط اجتماعي يمثل جزءًا من الحياة الاجتماعية للأفراد[38].

وعن دراسة العلاقات بين الأدب والمجتمع يؤكد "روبير اسكاربيت"*Robert Escarpit (1918-2000)*، عن انتصاره لجانب المجتمع «عند تخطيطه للظاهرة الأدبية: الإنتاج (الكاتب ووسطه ومشكلات التعبير)، والتوزيع (الطبع والبيع ونقد العمل)، والاستهلاك (معنى القراءة اجتماعيا من جانب الجمهور مباشرة)»[39].

وهذا يعني أنّ المنهج الاجتماعي يعتبر الأدب جزءًا من مكونات الحركة الثقافية للمجتمع، كما أنّ تحليل الأدب من المنظور الاجتماعي يقتضي تجميع أكبر قدر من البيانات عن الأعمال الأدبية، على غرار دراسة الظروف المحيطة بالإنتاج الأدبي، من توزيع وبيع واستهلاك من قبل الجمهور.

ومن أهم القضايا التي أثارها المنهج الاجتماعي قضية الالتزام أو الفن للحياة، إضافة إلى قضية الأدب وصراع الطبقات[40]، ولا شكّ أنّ كلّ القضايا التي عالجها هذا المنهج تنطلق من علاقة الأديب بالمجتمع الذي يعيش فيه، كما أنّه من القضايا التي أثارها المنهج الاجتماعي علاقة الكاتب بالمتلقي، وعلى هذا الأساس قامت دراسات عديدة تتناول هذه العلاقة، وأثر القراءة في توجيه الكتاب ليُلبّوا حاجات جمهورهم.

فالمنهج الاجتماعي لا ينظر إلى الأديب بوصفه فردا ينغلق على ذاته، أو ينشأ أدبه في فراغ بمعزل عن حركة التاريخ وظروف المجتمع، بل إن الأديب يعكس من خلال أدبه طبيعة المجتمع وحركة تطوره، من جهة، وعلاقته بالمجتمع الذي يعيش فيه من جهة أخرى.

ج– المنهج النفسي:

ارتبط ظهور المنهج النفسي في النقد الأدبي «بمدرسة عُرفت باسم مدرسة التحليل النفسي Psycho-Aanlyasis School هذه المدرسة التي عُدّت ثورة على النزوع

الجسدي للدراسات النفسية واتجاها نحو سيكولوجية الأعماق»[41]. وتأسست هذه المدرسة على يد "**سيغموند فرويد**" Sigmund Freud (1856-1939)، في مطلع القرن العشرين[42]، مستعينا في تأسيسه للمنهج النفسي بدراسة ظواهر الإبداع في الأدب والفن كتجليات للظواهر النفسية[43].

ومن النقاط الأولى التي انطلق منها "فرويد" تمييزه بين الشعور واللاشعور، مشيرا إلى أنّ تفسير الأحلام هو النافذة التي يطل منها اللاشعور، «كما اعتبر أنّ الأدب والفن تعبير عن اللاوعي الفردي، وتجليا تظهر فيه تفاعلات الذات وصراعاتها الداخلية»[44]؛ فالأدب والفن – حسبه – هما في النهاية تعبير عن اللاشعور الصادر عن الكاتب، ومن خلالهما تظهر صراعات الذات الداخلية.

ويتكفل المنهج النفسي بالإجابة عن جملة من الأسئلة من قبيل: كيف تتم عملية الخلق الأدبي؟ وما هي طبيعة هذه العملية من الناحية النفسية؟ هل تنعكس دلالة العمل الأدبي على نفسية صاحبه؟ وكيف يتأثر الآخرون بالعمل الأدبي عند قراءته؟[45]

هذه الأسئلة وغيرها يتصدى لها المنهج النفسي ويحاول الإجابة عنها، غير أنه لا يمكنه تقديم إجابات حاسمة ودقيقة، والسبب أنّ الاعتماد على علم النفس أضيق دائرة من النفس بطبيعة الحال.

وبالرغم من تعدد الاتجاهات النفسية التي نهلت منها الدراسات الأدبية فإن النقد النفسي ظلّ يتحرك ضمن جملة من المبادئ والثوابت منها[46]:

- ربط النص بلا شعور صاحبه.
- افتراض وجود بنية نفسية متجذرة في لا وعي الكاتب تنعكس على نصه.
- النظر إلى الشخصيات (الورقية) في النصوص على أنها شخصيات حقيقية.

وعموما فقد استثمرت الدراسات الأدبية حقائق علم النفس ومفاهيمه عبر مجالات عديدة ومتنوعة منها[47]:

- دراسة العملية الإبداعية في ذاتها.
- دراسة شخصية المبدع؛ أي البحث في دلالة العمل الإبداعي على نفسية صاحبه.
- دراسة العلاقة النفسية بين العمل الإبداعي والمتلقي.
- دراسة العمل الإبداعي من زاوية سيكولوجية؛ بمعنى التحليل النفسي للأدب.

وتعددت الدراسات التي تناولت تحليل النصوص الأدبية تحليلا نفسيا ومن بين ذلك الأعمال نذكر: "عقدة أوديب في الرواية العربية"، "رمزية المرأة في الرواية العربية"، "الروائي وبطله مقاربة اللاشعور في الرواية العربية"، وغيرها من الدراسات.

وبالرغم من الإضافات الجليلة التي قدمها المنهج النفسي للنقد الأدبي، إلا أنّه واجه بعض المآخذ من بينها: اهتمامه بصاحب النص على حساب النص ذاته، التسوية بين النصوص الرديئة والجيدة، والتعسف في فرض بعض التأويلات النفسانية على النصوص، إلى جانب الاهتمام بالمضمون النفسي للنص على حساب شكله الفني.

وتجدر الإشارة إلى أنّ ما زاد من أزمة النقد الأدبي الحديث تعدد المناهج، «فمناهج أغلب الباحثين في شرقنا العربي إما مناهج غامضة أو محرّفة عن أصولها في الثقافة الغربية»[48]، كما أنها «لا تنطلق من النص قصد استكناه دلالته، بل تسعى لإيجاد مبررات لأدوات المنهج المتوسل به، فيحدث التنافر بين النص والمنهج وتغيب الدلالة وتُطمس معالم النص ويسود الغموض»[49].

ومنه فغياب الوعي بأصول المنهج وخلفياته المعرفية كان من بين أكثر الصعوبات التي أدخلت القارئ في متاهة للقبض على إجراءات المنهج وتتبعها، وهذا ما زاد من غربته وصعوبة فهم إجراءاته.

وقد «أكّد النقاد العرب على جدلية العلاقة بين المنهج والمصطلح، إذ يحدد المنهج المصطلح ويؤطره، ويؤكد المصطلح المنهج ويوضحه، فإن لم يكن المصطلح واضحا يتأثر المنهج بالتأكيد، ويسبب مشاكل في الاستيعاب وصعوبة في تلقي المادة لدى القارئ»[50] وهذا ما يوضح سرّ ارتباط المصطلح بالمنهج، فكلاهما يؤثر في الآخر ويتأثر به، وهذا ما يؤدي إلى صعوبة في تلقي المادة لدى القارئ.

3-2/ المناهج النسقية (الحداثية):

أ– المنهج البنيوي:

تعدّ أفكار العالم اللغوي "فرديناند دو سوسير" Ferdinand De Saussure (1857-1913) منطلقا للفكر البنيوي في اللغة، وذلك من خلال الحديث عن جملة من الثنائيات المتقابلة التي يمكن عن طريقها وصف الأنظمة اللغوية، وأولى تلك الثنائيات ثنائية اللغة والكلام؛ فإذا كانت اللغة نموذج جماعي ذهني فإنّ الكلام عمل فردي آني يقع في الزمن، وثانيها هي ثنائية المحور التاريخي والمحور الوصفي؛ فالأول يركز على دراسة الظواهر في مسارها في الزمن، بينما يهتم الثاني بتحليل نظام الظواهر في لحظة زمنية ما[51].

وترعرع المنهج البنيوي في أحضان الفكر الشكلاني، إذ تكاد تجمع أغلب الدراسات تخصصا على أن البنيوية هي «نتيجة للتنظير الشكلاني»[52]؛ فالشكلانيون الروس قامت أفكارهم على أطروحتين أساسيتين: الأولى هي التشديد على الأثر الأدبي وأجزائه المكونة له، والثانية هي الإلحاح على استغلال علم الأدب[53]،كما تركزت دراستهم حول الشكل بوصفه مجموعة من الوظائف وليس مجرد صيغة شكلية مسطحة[54].

وعموما فالبنيوية منهج نقدي يقارب النصوص الأدبية مقاربة آنية محايثة؛ تعتبر النص بنية لغوية متعالقة ووجودا كليا قائما بذاته، مستقلا عن غيره، ومن خلال البنيوية يتحول النص إلى جملة كبرى يتم تجزيئها إلى أصغر مكوناتها، وبهذا يعتبر أقطاب البنيوية أن الجزء لا قيمة له إلا في سياق الكل الذي ينظمه.

وظهرت البنيوية في النقد العربي مع بدايات السبعينات من القرن الماضي مع الدكتور رشاد رشدي (1912-1983)، ومن جاء بعده أمثال محمود الربيعي ومصطفى ناصف وعبد العزيز حمودة وغيرهم[55]، ثم تلتها جهود كل من كمال أبو ديب في كتابه: (البنية الإيقاعية للشعر العربي 1974)، وإبراهيم زكريا في كتابه: (مشكلة البنية 1976)، إضافة إلى كتاب صلاح فضل (نظرية البنائية في النقد الأدبي 1978)[56].

ويرى سمير حجازي أن المنهج البنيوي يصف عناصر البنيات المكونة للعمل الأدبي وليس تفسيرا لمكوناتها، وهذا من أجل الكشف عن القانون الذي يحكم تلك البنيات[57].

ب – المنهج الأسلوبي:

ظهرت فكرة الأسلوبية من خلال ثنائية اللغة (Langue) والكلام (Parole) التي أشار إليها "دو سوسير"، ويختلف الكلام عن اللغة في أنه يعتبر التحقق الفردي للغة؛ أي ما يقوم بالفعل مقابل ما يقوم بالقوة.

وإذا كانت الأسلوبية جزءًا من علم اللغة العام في بداية الأمر، فإنها لم تكن تُعنى باللغة الطبيعية فحسب، وإنما صارت تُعنى أيضا بلغة الأدب بشكل عام، أو ما يسمى اللغة الانفعالية (المجازية)، وهنا يدخل عنصر مهم في الدراسة الأسلوبية يسمى الانزياح (Déviation).

ويؤكد الأسلوبيون على المعنى «بالتحقق الفردي في الكلام من خلال الاختيار والانحراف بالمحور التزامني والمحور التعاقبي Synchronic و Diachronnic فالتزامن هو دراسة اللغة دراسة وصفية، والتعاقب دراستها دراسة تطورية تاريخية»[58]؛ فالمحور التزامني يعني دراسة اللغة على اعتبار أنها نظام يؤدي وظيفة في فترة معينة في الزمن دون العودة إلى تاريخها، أما المحور التعاقبي (التتابعي) فيعني دراسة اللغة والتطورات التي تطرأ عليها تاريخيا أو بمعنى آخر وصف المراحل التطورية التي مرت بها اللغة.

ويعود ميلاد الأسلوبية إلى بدايات القرن العشرين مع تلميذ "دو سوسير" السويسري "**شارل بالي**" Charle Bally (1865–1947)، الذي يعد مؤسس هذا العلم[59]. ويحاول المنهج الأسلوبي دراسة الأدب من خلال وجهة بلاغية جديدة وأسلوبية حداثية تستلهم نظريات الشعرية الغربية لدى "تيزفيتان تودوروف" و"جون كوهين" و"ميشال ريفاتير" وغيرهم.

وانتقل المنهج الأسلوبي إلى الأدب العربي عن طريق الترجمة، ومن أشهر أعلامه عبد السلام المسدي في كتابه (الأسلوبية والأسلوب)، حيث عرف الأسلوبية بأنها: «علم لساني يُعنى بدراسة مجال التصرف في حدود القواعد البنيوية لانتظام جهاز اللغة»[60]؛ أي أنّ الأسلوبية تنتمي إلى علم اللغة الحديث (اللسانيات)، وتشمل كلّ ما له علاقة بالدراسة اللغوية من نحو وصرف ولفظ وصوت.

كما يؤكد عبد السلام المسدي أنّ «الأسلوبية امتداد للبلاغة ونفي لها في نفس الوقت، هي بمثابة حبل التواصل وخط القطيعة في نفس الوقت أيضا»[61].

ونخلص إلى أنّ أهم مجال للدراسة الأسلوبية عندما تنصب على تحليل خواص اللغة الأدبية، ومثل هذا التحليل النوعي لتقنيات التعبير وتوليدها للأبنية التصورية الكلية للأعمال الأدبية، هو الكفيل بتجاوز الخواص الجزئية للنصوص الأدبية، وعندئذ تصبح عملية التقاط الظواهر الأسلوبية المختلفة مجرد خطوة إجرائية لا تكتمل إلا بالتحليل النقدي الكفيل بالربط بين مستويات التعبير العديدة والمتنوعة.

ج – المنهج السيميائي:

يعد المنهج السيميائي ثمرة ثقافة غربية انتقلت إلى العالم العربي عن طريق موجة التأثير الغربية، وإن كنا لا ننفي وجود بذور لهذا المنهج في التراث العربي بمسمى علم العلامات.

أصبحت القراءة النقدية في ضوء المنهج السيميائي قراءة إنتاجية تحاول تقريب القراءة من الكتابة؛ فيصبح القارئ كاتبا ومنتجا ثانيا للنص، لأنّ القراء السيميولوجية تعتبر أن النص يخفي بين سطوره أسرارًا كثيرة تستفز القارئ وترغمه على فك رموز النص انطلاقا من فهم العلاقة الجدلية بين الدال والمدلول.

فالمنهج السيميائي يُعد شكلا من أشكال التواصل، فيقيم علاقة تفاعل بين النص والقارئ، لأنّ الأخير ينشط على مستوى استنطاق الدال في النص مما يجعله يتفاعل معه تارة مؤثرا فيه، وتارة أخرى متأثرا به.

ويعرّف جميل حمداوي السيميولوجيا بأنها «العلم الذي يبحث في أنظمة العلامات سواءً أكانت لغوية أم أيقونية أم حركية»[62]؛ مما يعني أن السيميولوجيا تبحث في العلامات اللغوية وغير اللغوية التي تنشأ في كنف المجتمع، أو بمعنى آخر هي تبحث في حياة العلامات داخل الحياة الاجتماعية، أي أن لها وظيفة اجتماعية.

وتجدر الإشارة إلى أنّ السيميولوجيا لسانية بالأساس، وأيقونية بالأخص، وهذا لأنها تشكل غالبية عناصر التواصل الإنسانية[63]، ولم تقف السيميائية عند حدودها العلمية، بل تجاوزتها إلى الوسائل المنهجية؛ فتحولت من علم موضوعه العلامة ومنهجه التحليل السيميائي إلى منهج قائم بذاته.

وانتقلت السيميائية –بحلتها الغربية– إلى الوطن العربي وصارت مادة من مواد الدراسة في أقسام اللغة العربية وآدابها ومنهجا ينتهجه كثير من النقاد العرب المعاصرين أمثال محمد مفتاح وعبد الله الغذامي وجميل حمداوي وصلاح فضل وعبد المالك مرتاض وغيرهم[64].

ويقوم التحليل السيميائي للنصوص على عدة عناصر أهمها: سيميائية العنوان سيميائية الصور، سيميائية الأسماء والأفعال، سميائية الزمان والمكان، سيميائية البُنى السطحية والبُنى العميقة، والخاتمة النصية، هذه الآليات الإجرائية وغيرها تعد المفاتيح التي يعتمدها الناقد في تحليل النصوص وكشف أسرارها.

وتجدر الإشارة إلى أنّ عرضنا لهذه المناهج النسقية لا يتوقف عند المنهج البنيوي والأسلوبي والسيميائي فحسب، بل يتعدى ذلك إلى العديد من المناهج الحداثية الأخرى التي حاولت دراسة النصوص من الداخل، ومن بينها: المنهج التفكيكي الذي يستخدم التفكيك للدلالة على نمط من قراءة النصوص، ويعتمد آلية الهدم والبناء؛ أي هدم القراءة السابقة وبناء قراءة جديدة تختلف عن الأولى، إضافة إلى المنهج التداولي الذي يعتمد على المظاهر الاتصالية للغة؛ إذ يبدأ التحليل التداولي من البحث عن حالة اللا تطابق بين النص والسياق.

نخلص في ختام هذا العنصر إلى أنّ المصطلح كالمنهج، كلاهما خلق أزمة للنقد العربي في محاولة ضبطهما وتقديمهما للمتلقي، وخاصة أن النقاد العرب غالبا ما يقدمون المصطلح أو المنهج من خلال نظرتهم الذاتية وفكرهم الخاص دون العودة إلى الأصول التي نشآ فيها.

كما تضاعفت أزمة المصطلح جراء تعدد المناهج من جهة، وغياب الوعي بأصولها من جهة أخرى، فأضحى المنهج مجرد أدوات إجرائية مفرغة، ولعل هذا ما زاد من غربة المنهج وصعوبة فهم إجراءاته.

وختاما فإن إشكالية المصطلح في ضوء تعدد المناهج تعتبر واحدة من أبرز الإشكاليات التي عرفها النقد العربي الحديث والمعاصر، حيث باتت تشير إلى حجم الأزمة التي يتخبط فيها الخطاب العربي بشكل عام، وهو ما أنتج إشكالية أخرى تمثلت في اختلاف المناهج الوافدة من وراء البحار إمّا من حيث التعريفات أو من خلال الآليات الإجرائية، لذا وجب تجاوز هذه الإشكالية والبحث عن الحلول الكفيلة بمعالجة أزمة المصطلح ومن ورائها إشكالية تعدد المناهج.

4- أزمة المصطلح في ظلّ تنوع مجالات الاستخدام:

يرى عبدالسلام المسدي أنّ إشكالية المصطلح أصبحت إشكالية ثقافية وفكرية بلورها انعدام الوعي لدى المثقف العربي بملابسات نشأة المصطلح ومجالات استخدامه، وخصوصياته الحضارية والثقافية التي يبقى وفيا لها رغم الجهود المبذولة لتثبيته في الحضارة العربية(65).

والملاحظ أن أزمة النقد الأدبي العربية ارتبطت بضعف العناية بالمصطلح النقدي في علاقته بالمثاقفة وتمثّل المناهج النقدية الحديثة، وفي ظل الواقع الذي يشهده المصطلح النقدي اتضحت مظاهر إشكالياته؛ ومن بين تلك الإشكاليات تبرز أزمة تنوع مجالات الاستخدام حيث أخذت هي الأخرى في التفاقم شيئا فشيئا، حتى أضحت تشكل عائقا أمام تطور المصطلح، مما شكّل صعوبة لدى الناقد العربي في فهم المصطلح وطرق ومجالات استخدامه.

وتضمن الدرس النقدي العربي عديد المحاولات في سبيل دراسة المصطلحات النقدية العربية نظرا لأهميتها وإقبال النقاد عليها بالدراسة والاستعمال، وعلى الرغم من أن الاهتمام بالمصطلح كان متأخرًا –نوعا ما– في عالمنا العربي، إلا أنه نال حظًّا وافرًا من الاهتمام في مجال الدراسات النقدية العربية الحديثة والمعاصرة، ومن أهم الجهود التي تناولت المصطلح بالدراسة والتحليل نجد محاولات الناقد يوسف وغليسي الذي درس (إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد)، حيث عالج من خلاله نظرية المصطلح النقدي، وناقش إشكالية المصطلح وآليات الاصطلاح، كما قام بتقديم دراسة تطبيقية للهوة المصطلحية في الخطاب العربي الجديد(66).

ولم يتوقف استخدام المصطلح في النقد العربي عند يوسف وغليسي فحسب، بل استخدمه أيضا مولاي علي بوخاتم، حيث تناول في كتابه (مصطلحات النقد العربي السيميائي الإشكالية والأصول والامتداد)، والذي انتقى فيه مجموعة من المصطلحات وقام بدراستها، كما بيّن أهم الطرق الواجب إتباعها في وضع المصطلحات وأهم الإشكاليات التي تعترضها(67).

ولعل محاولة النقاد العرب في احتضان المصطلح النقدي منذ دخوله إلى حقل الدراسات النقدية العربية جعلهم يقومون بعديد الدراسات في هذا المجال ويحاولون الولوج إلى ثنايا النصوص والخروج بنظرية نقدية عربية خالصة لهذا المصطلح لإعطاء منظور فكري نقدي يجعل للمصطلح أفاقا جديد كفيلة بالدراسة والبحث فيها.

خاتمة:

من خلال ما تقدّم نخلص إلى أنّ قضية إشكالية المصطلح النقدي نالت أهمية بالغة لدى النقاد والباحثين، وحظيت بالعناية اللازمة، ومما تمّ التوصل إليه أنّ الأزمة التي تعاني منها الثقافة العربية هي أزمة ثقافية انعكست على المصطلحات والمناهج، كما أنّ المنهج ليس مجرد آليات إجرائية تساعد على تحليل النص، بل للمنهج وظائف أخرى تتعدى ذلك للكشف عن القيم الجمالية للنصوص. ومن جملة النتائج المتوصل إليها نذكر:

- إنّ إشكالية المصطلح واحدة من إشكاليات النقد العربي الحديث والمعاصر، حيث باتت تشير إلى حجم الأزمة التي يتخبط فيها الخطاب العربي.
- إنّ أزمة النقد العربي لا تتوقف عند تعدد المناهج فحسب، بل تتعداها إلى غياب الوعي بأصول المنهج، وعدّه مجرد مجموعة من الوسائل والأدوات الإجرائية.
- من نتائج أزمة المصطلح في النقد العربي الحديث والمعاصر تعدد المصطلحات،وهو ما أسهم في خلق صعوبة في الفهم لدى كل من الناقد والقارئ على حدٍّ سواء.
- تحول المصطلح إلى وسيلة لإلغاز المعنى وإخفائه، عوض تقريبه وتوضيحه.

- إن تعدد المناهج وتنوعها (سياقية ونسقية) بالرغم من أنه خدم النقد العربي، إلا أنه خلق أزمة أخرى على المستوى الإجرائي أساسا، وذلك لعدم وجود آلية متفق عليها في تحليل النصوص الأدبية.
- خلق تعدد المناهج أزمة لدى القارئ في اختياره للمنهج الأنسب لتحليل النص وكشف أسراره، فكثرة المناهج عمّق من أزمة النقد العربي.
- إنّ تعدد المناهج أدى إلى كثرة المصطلحات؛ فنجد للمنهج الواحد كمًّا هائلا من المصطلحات الدالة عليه، وهذا ما عمّق المشكلة لدى كلّ من الناقد والقارئ.
- إنّ تنوع مجالات استخدام المصطلح في النقد أسهم في ظهور العديد من الدراسات التي حاولت تناول مشكلة المصطلح والمنهج.
- إنّ استخدام المصطلح لا يتوقف عند موضوع النقد فحسب، بل يتجاوز ذلك إلى عديد المجالات على غرار اللسانيات، النحو، الصرف، الأدب، وغيرها من المجالات الأخرى.

الهوامش والإحالات:

(1)– محمد مرتضى الحسيني الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، ج6، تحقيق: حسين نصّار مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ط2، 1969، ص 551.

(2)– أحمد ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط2، 1979، ص 303.

(3)– مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي: القاموس المحيط، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط8، 2005، ص 292.

(4)– جمال الدين أبو الفضل محمد ابن مكرم (ابن منظور): لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرون، مج 4، دار المعارف، مصر، (د ط)، 1981، ص 2479.

(5)– أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2008، ص 146.

(6)– شوقي ضيف: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 2004، ص 520.

(7)– الشريف الجرجاني: كتاب التعريفات، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، مصر (د ط)، (د ت)، ص 27.

[8]– عبد السلام المسدي: الأدب والخطاب والنقد، دار الكتاب الجديد، لبنان، ط1، 2004، ص ص 13–14.

[9]– محمود فهمي حجازي: الأسس اللغوية لعلم المصطلح، مجلة مجمع القاهرة، مج59، 1986، ص11

[10]– علي بن إبراهيم النملة: إشكالية المصطلح في الفكر العربي، بسيان للنشر والتوزيع والإعلام بيروت، لبنان، ط1، 2010، ص ص 15–16.

[11]– ممدوح محمد خسارة: علم المصطلح وطرائق وضع المصطلحات في العربية، دار الفكر، دمشق سوريا، ط1، 2008، ص 11.

[12]– أحمد مطلوب: معجم مصطلحات النقد العربي القديم، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط1 2001، ص 10.

[13]– مهدي صالح سلطان الشمري: في المصطلح وعلم الدلالة، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد العراق، 2012، ص 59.

[14]– أحمد مطلوب: في المصطلح النقدي، منشورات المجمع العلمي، بغداد، العراق، ط2، 2002 ص235.

[15]– عبد السلام المسدي: المصطلح النقدي، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع، تونس (د ط)، 1994، ص 20.

[16]– ينظر: مليكة النوي: المصطلح النقدي في العصر الحديث، الملتقى الدولي الأول في المصطلح النقدي، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، يومي 09 و10 مارس 2011، ص 214.

[17]– يوسف وغليسي: إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، منشورات الاختلاف الجزائر، ط1، 2008، ص 42.

[18]– عبد السلام المسدي: المصطلح النقدي، ص 126.

[19]– المرجع نفسه، ص 126.

[20]– يوسف وغليسي: إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ص 56.

[21]– المرجع نفسه، ص 57.

[22]– المرجع نفسه، ص 57.

[23]– المرجع نفسه، ص 59.

[24]– ينظر: وهيبة دربالي: المصطلح النقدي العربي المعاصر بين الحداثة والتراث، أعمال الملتقى الوطني الأول التراث العربي وجديد القراءات النقدية، المركز الجامعي برج بوعريريج، ع9، 2011، ص281.

(25)– ينظر: فاضل ثامر: إشكالية المصطلح النقدي في الخطاب النقدي العربي الحديث، مجلة نزوى ع86، أفريل 1996، ص 35.

(26)– ينظر: نهاد التكرلي: اتجاهات النقد الأدبي الفرنسي المعاصر، الموسوعة الصغيرة، رقم 36، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، العراق، 1979، ص 114.

(27)– ينظر: حسين جمعة: المسار في النقد الأدبي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، (دط) 2003، ص 129.

(28)– ينظر: صلاح فضل: مناهج النقد المعاصر: ميريت للنشر ، القاهرة، مصر، ط1، 2002، ص25.

(29)– يوسف وغليسي: مناهج النقد الأدبي الحديث، جسور للنشر، الجزائر، ط1، 2007، ص 15.

(30)– ينظر: إنريك أندرسون إمبرت: مناهج النقد الأدبي، ترجمة: الطاهر أحمد مكي، مكتبة الآداب القاهرة، مصر، ط1، 1991، ص 107.

(31)– ينظر: سيد قطب: النقد الأدبي أصوله ومناهجه، دار الشروق، القاهرة، ط8، 2003، ص 165.

(32)– ينظر: المرجع نفسه، ص ص 167–168.

(33)– ينظر: المرجع نفسه، ص 169.

(34)– ينظر: يوسف وغليسي: مناهج النقد الأدبي الحديث، ص ص 20 – 21.

(*)– هيبوليت تين (1828– 1893): ناقد فرنسي عاش في النصف الثاني من القرن 19، تعد نظريته ترجمة معتدلة للنظريات الحديثة في ربط الأدب بالحياة التي تتحكم فيها عوامل منها: بيئة المبدع ثقافته، تربيته، والعوامل الزمانية والمكانية المؤثرة فيه. ينظر: يوسف وغليسي: مناهج النقد الأدبي الحديث، ص 16.

(**)– غوستاف لانسون (1857–1934): أكاديمي فرنسي أعلن عن هويته المنهجية سنة 1909 في محاضرة بجامعة بروكسل حول الروح العلمية ومنهج تاريخ الأدب، ثم أتبعها سنة 1910 بمقاله الشهير: "منهج تاريخ الأدب" الذي حدّد فيه خطوات المنهج التاريخي. ينظر: يوسف وغليسي: مناهج النقد الأدبي الحديث، ص 18.

(35)– ينظر: صلاح فضل: مناهج النقد المعاصر، ص ص 35–36.

(36)– ينظر: المرجع نفسه، ص 45.

(37)– إنريك أندرسون إمبرت: مناهج النقد الأدبي، ترجمة: الطاهر أحمد مكي، ص 117.

(38)– ينظر: إبراهيم السعافين وخليل الشيخ: مناهج النقد الأدبي الحديث، منشورات جامعة القدس المفتوحة، عمان، الأردن، ط1، 1997، ص 103.

(39)– إنريك أندرسون إمبرت: مناهج النقد الأدبي، ترجمة: الطاهر أحمد مكي، ص 127.

(40)– ينظر: إبراهيم السعافين وخليل الشيخ: مناهج النقد الأدبي الحديث، ص 104.

(41)– المرجع نفسه، ص 142.

(42)– ينظر: يوسف وغليسي: مناهج النقد الأدبي الحديث، ص 22.

(43)– ينظر: صلاح فضل: مناهج النقد المعاصر، ص 66.

(44)– المرجع نفسه، ص 67.

(45)– ينظر: سيد قطب: النقد الأدبي أصوله ومناهجه، ص ص 207–208.

(46)– ينظر: يوسف وغليسي: مناهج النقد الأدبي الحديث، ص 23.

(47)– ينظر: المرجع نفسه، ص ص 23–24.

(48)– سمير سعيد حجازي: إشكالية المنهج في النقد العربي المعاصر، دار طيبة للنشر والتوزيع والتجهيزات العلمية، القاهرة، مصر، (د ط)، 2005، ص6.

(49)– عبد الغني بارة: إشكالية تأصيل الحداثة في الخطاب النقدي العربي المعاصر؛ مقاربة حوارية في الأصول المعرفية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، (د ط)، 2005، ص 134.

(50)– زبيدة القاضي: النقد العربي المعاصر من النسقية إلى الإبداع تحولات الخطاب النقدي المعاصر عالم الكتب الحديث، مصر، ط1، 2008، ص 66.

(51)– ينظر: صلاح فضل: مناهج النقد المعاصر، ص ص 85–86.

(52)– فيكتور إيرليخ: الشكلانية الروسية، ترجمة: محمد الولي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب ط1، 2000، ص 66.

(53)– ينظر: المرجع نفسه، ص 14.

(54)– ينظر: يوسف وغليسي: مناهج النقد الأدبي الحديث، ص 67.

(55)– ينظر: المرجع نفسه، ص 72.

(56)– ينظر: المرجع نفسه، ص 73.

(57)– ينظر: سمير حجازي: مدخل إلى منتهج النقد الأدبي، دار التوفيق للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط1، 2004، ص 24.

(58)– إبراهيم السعافين وخليل الشيخ: مناهج النقد الأدبي الحديث، ص 13.

(59)– ينظر: يوسف وغليسي: مناهج النقد الأدبي الحديث، ص 76.

(60)– عبد السلام المسدي: الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ليبيا، ط3، 1982 ص 56.

(61)– المرجع نفسه، ص 52.

(62)– جميل حمداوي: السيميولوجيا بين النظرية والتطبيق، مطبعة الوراق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن ط1، 2011، ص 6.

(63)– ينظر: برنار توسان: ما هي السيميولوجيا، ترجمة: محمد نظيف، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء المغرب، ط2، 2000، ص 35.

(64)– ينظر: يوسف وغليسي: مناهج النقد الأدبي الحديث، ص 98.

(65)– ينظر: عبد السلام المسدي: الأدب وخطاب النقد، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2004 ص 30.

(66)– ينصح بالعودة إلى كتاب يوسف وغليسي: إشكالة المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد.

(67)– ينصح بالعودة إلى كتاب مولاي علي بوخاتم: مصطلحات النقد العربي السيميائي الإشكالية والأصول والامتداد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، ط1، 2005.